الفصل الثالث

منهجية الدراسة

٣,١ المقدمة

إن تحديد المنهج خطوة لا بد منها باعتباره أداة إجرائية في تحليل البحث، وقد اختارت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يركز على وصف الظواهر والسلوكيات الإنسانية والاجتماعية، ويقدم الفهم العميق لها بتفسيره للبيانات التي يجمعها الباحث. وقد تم تعريفه بأنه "أي نوع من البحوث التي تعطي نتائج لم يتم التوصل إليها بواسطة الإجراءات الإحصائية أو بواسطة أي وسائل أخرى من الوسائل الكمية" (ستراوس وكوربين، ١٩٩٩). كما اعتمدت الباحثة المنهج البنيوي التكويني، والمنهج الجندري، والمنهج الثقافي، ومنهج ما بعد الاستعمار في تحليل البنية الداخلية للنصوص وتفسيرها في إطار سياقاتها الخارجية المختلفة.

وقد اعتمدت الباحثة أربع روايات إماراتية عينةً للدراسة للبحث في التحولات الاجتماعية التي طرأت على بنية المجتمع الإماراتي وأنماط حياته وسلوكيات أفراده ووظائفهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

٣,٢ منهج الدراسة

إن المنهج النوعي الذي يعتمد الوصف والتفسير هو المنهج الأكثر انسجاما مع أهداف الدراسة في التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية، حيث "يركز على فهم وشرح واستطلاع واكتشاف وتوضيح المواقف والتصورات والمواقف والقيم والمعتقدات، والخبرات التي لدى الناس حول المشكلة المدروسة (كَوْمَرْ،

٢٠١١). "وهذه الدراسات تستهدف وصف الأحداث والأشخاص والمعتقدات والاتجاهات والقيم والأهداف والتفضيل والاهتمام، وكذلك أنماط السلوك المختلفة" (عبد الحميد، ١٩٩٢)، بحيث ستمكن الباحثة من دراسة مختلف التجليات المجتمعية التي نقلتها عملية التخييل من الواقع إلى عالم الممكن في الرواية، ومن خلال استخلاص البنيات السردية المختلفة كالسرد والحوار.

وضمن المقاربة النوعية، اختارت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يجمع بين خصائص المنهج الوصفي وخصائص المنهج التحليلي بهدف وصف الظواهر وتحليلها، ويعد منهجا مناسبا للدراسة لجمعه بين الوصف الموضوعي للظواهر والتحليل النقدي للنصوص الأدبية، ولما تتميز به أدواته من دقة تسهل عملية جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالتحولات الاجتماعية وبالرواية الإماراتية، ثم تفسير العلاقات بين المتغيرات لفهم عوامل التأثير والتأثر بين الرواية والواقع. تم استخدام آليات المنهج الوصفي لتقديم صورة علمية موضوعية للتحولات الاجتماعية كما تمثلت في الروايات محل الدراسة، وفي طريقة بناء الأحداث والشخصيات، وذلك عبر تصنيفها وتنظيمها وتبويبها حسب النوع، بالإضافة إلى جمع المعلومات من المصادر المكتبية المتوفرة. واعتُمدت أدوات المنهج التحليلي لتقديم تفسيرات علمية ومنطقية للعلاقات بين المتغيرات بناء على المعلومات التي تم جمعها وتصنيفها، ولتفسير أسباب انعكاس التحولات في الرواية وارتباطها بالواقع، وكيفية توظيف الروائيين لتجليات التحول المجتمعي في البناء الفني لنصوصهم السردية.

تتبعت الباحثة، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي، مجالات التحول المجتمعي كما نقلتها الروايات محل الدراسة، ووصفت الحياة الاجتماعية في عناصرها السردية المختلفة لتقديم صورة موضوعية واضحة لتجليات التحول الاجتماعي في عينة الدراسة، ثم حللت دلالات المكان وأقوال الشخصيات وسلوكها دون إغفال اللغة والأسلوب والتقنيات السردية الموظفة للوصول إلى نتيجة ارتباط التحولات بالواقع ودرو الروائي في تقديمها وفق وجهة نظره والجيل الأدبي الذي ينتمي إليه، ولتقديم تفسيرات علمية ومنطقية

للعلاقات بين المتغيرات بناء على المعلومات التي تم جمعها وتصنيفها، والوصول إلى استنتاجات دقيقة تقدم إجابات عميقة وشاملة لأسئلة الدراسة.

ولتطبيق خطوات المنهج الوصفي، بدأت الباحثة بالاستقراء لتتبع النصوص الروائية واستخلاص المؤشرات الاجتماعية من داخل بنائها السردي، ثم انتقلت إلى مرحلة التصنيف لجمع التحولات وتقسيمها وتبويبها حسب ما يتوافق منها في النوع بدءا بالتحولات الاقتصادية ثم العمرانية، ثم ما يتعلق بالعمالة الوافدة والتحول في العلاقات الاجتماعية وفي دور المرأة ومكانتها في المجتمع الإماراتي. وفي مرحلة التحليل، تم ربط التحولات الاجتماعية في الروايات بالواقع وتفسير علاقة التأثير والتأثر بهما باعتبارهما متغري الدراسة، وتأكيد نتيجة دور الروائي الإماراتي في توثيق التحولات الاجتماعية وتحليلها في ارتباط بالواقع وبالاشتراطات الاجتماعية التي تؤطره كالجيل الأدبي والنوع الاجتماعي.

وفي إطار التفسير والتحليل، استعانت الباحثة بنظريات أدبية كنظرية المحاكاة ونظرية الانعكاس، واعتمدت منهجا اجتماعيا مركبا من المنهج البنيوي التكويني والنقد النسوي والنقد الثقافي والنقد ما بعد الاستعماري لتقديم تفسير شامل للعلاقة بين الرواية والمجتمع والثقافة والنوع الاجتماعي والهيمنة الثقافية الغربية. يوفر المنهج البنيوي التكويني آليات لفهم النص الأدبي من خلال دراسة بنيتين اثنتين هما البنية الداخلية للنص وبنية السياق الخارجي، ورغم اختلاف عمليتي الفهم والتفسير في البنيتين، "فإن غولدمان يربط نتائج الخطوة الثانية بالمعطيات السابقة عليها في الخطوة الأولى، فإذا كان الفهم يتجه إلى داخل العمل مستجمعا مقومات البنية الدلالية، فإن التفسير يتجه إلى الخارج باعتباره عملية تالية لعملية الفهم" (بحري، ٢٠١٥)، كما ينظر النقد البنيوي التكويني إلى الأدب على أنه تعبير عن رؤية للعالم التي يعتبرها واقعة اجتماعية، "إن الرؤيات للعالم تعتبر وقائع اجتماعية، والمؤلفات الكبرى في الفلسفة والفن تمثل التعبيرات

الملائمة والمتماسكة لرؤيات العالم هذه، إنها بوصفها كذلك، تعبيرات فردية واجتماعية في نفس الوقت، يتحدد محتواها بالوعي الممكن الأقصى للمجموعة". (غولدمان، ١٩٩٦)

ويقدم النقد النسوي نظرية أدبية تهتم بدراسة ملامح الكتابة النسائية وما تطرحه من قضايا تمس التهميش الذي تعيشه المرأة والإقصاء الاجتماعي الذي يمارس ضدها، والنظر في أوجه اختلافها عن كتابة الرجل من ناحية الشكل والمضمون، واللغة والأسلوب. "ومن ثم، فهذا النقد يترجم لنا ثنائية الذكور والإناث، أو ثنائية التأنيث والتذكير. علاوة على ذلك، يتميز الإبداع الأنثوي – الذي يتخصص النقد النسائي في رصده قضية وفنا ومقصدية- بحضور الأنا، والاسترسال في استعراض تجارب الذات في صراعها مع نفسها أو مع الموضوع، والإغراق في العواطف الانسيابية، والميل الى التخييل الذاتي، واستحضار المذكر باعتباره طرفا نقيضا يمكن التعايش معه من جهة أو الصراع معه من جهة أخرى، واللجوء إلى اللاشعور وتيار الوعي لتفتيق الأحاسيس الداخلية، والاهتمام بالعواطف والمشاعر الذاتية الشعورية واللاشعورية، والحديث عن الأسرة والزواج والطلاق والظلم الاجتماعي، والثورة على الظلم السياسي والاقتصادي والثقافي والعرقي والتاريخي الذي يمارس ضد المرأة باعتبارها أما وجدة وبنتا وزوجة وأختا وعاشقة ومعشوقة وكاتبة ومبدعة ومثقفة وناقدة وفنانة وعالمة". (حمداوي، ص ١٢٥)

أما النقد الثقافي، فينظر للنص الأدبي على أنه حادثة ثقافية وليس نصا أدبيا وجماليا فحسب، ويركز على دلالته النسقية كما يسميها عبد الله الغذامي، وعلى المجاز الكلي الذي "لا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال" (الغذامي، ٢٠٠٥)، وبهذا، سيتم البحث في المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي للنصوص، وفي المعنى البعيد الذي توفره التورية في علم البلاغة، والتي تدل في النقد الثقافي على "حال الخطاب إذ ينطوي على حال الخطاب إذ ينطوي على بعدين أحدهما مضمر ولا شعوري، ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ، هو مضمر

نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد، ولكنه انوجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب ورعية الخطاب من مؤلفين وقراء، والكشف المنهجي عنه يتطلب أدوات خاصة تأتي التورية في مقدمتها، لكن بمعنى (التورية الثقافية) أي حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر، وهو أكثر فاعلية وتأثيرا من ذلك الواعي". (الغذامي، ٢٠٠٥)

وغير بعيد عن الثقافة، تهتم نظرية ما بعد الاستعمار بالطابع الثقافي والسياسي للنص الأدبي، حيث "تستعرض ثنائية الشرق والغرب في إطار عسكري وحضاري وقيمي وثقافي وعلمي، كما تعمل هذه النظرية الأدبية النقدية على استكشاف مواطن الاختلاف بين الشرق والغرب، وتحديد أنماط التفكير والنظر إلى الشرق والغرب معا"، وبطرح ثنائية الأنا والآخر، وقضايا المركزية الغربية التي تنظر إلى الثقافات المختلفة كثقافات هامشية يتم إخضاعها للمركز عبر سياسات مدروسة لتحقيق الهيمنة الثقافية، "ويعني هذا أن نظرية مابعد الاستعمار تطرح مجموعة من القضايا الشائكة للدرس والمعالجة والتفكيك والتقويض، كجدلية الأنا والغير، وثنائية الشرق والغرب، وتجليات الخطاب الاستعماري، ودور الاستشراق في تزكية المركزية الغربية قوة وتفوقا، والإشارة إلى الصراع الفكري والثقافي المضاد للتمركز العقلي الغربي لغة وكتابة ومقصدية وقضية". (حمداوي، ٢٠١٦)

٣,٣ الإطار المفاهيمي

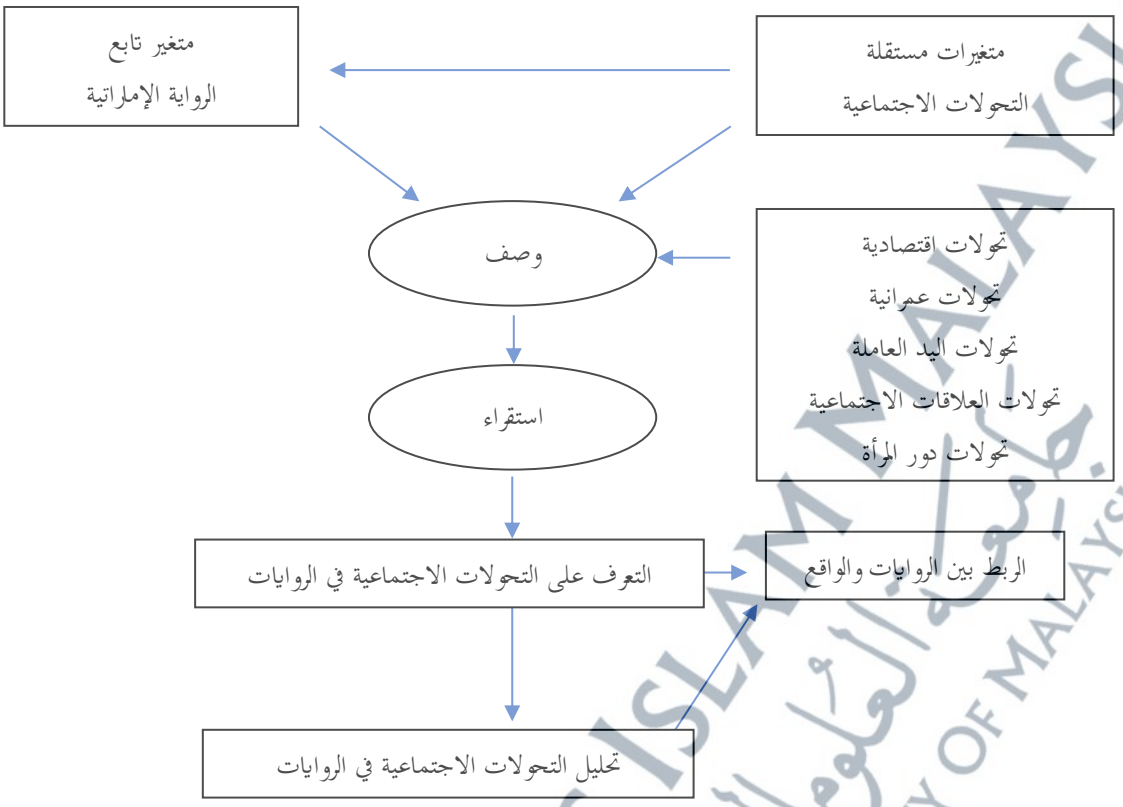

الرسم البياني ٣,١: الإطار المفاهيمي

٣,٤ مصادر الدراسة

تتمثل عينة الدراسة في أربع روايات إماراتية اختارتها الباحثة لتدرس من خلالها التحولات الاجتماعية في المجتمع الإماراتي بهدف تصنيفها وتحليلها والبحث في واقعيتها. وهي حسب ترتيب تاريخ إصدارها:

- "السيف والزهرة": للروائي علي أبو الريش، الطبعة الأولى ١٩٨٤، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر– أبوظبي، عدد الصفحات ١٥٨: يقدم الكاتب أحداث الرواية من خلال جيلين مختلفين، جيل الأب "خلفان، وجيل الابن "سلطان"، حيث يمثل الأب الماضي الجميل بتقاليده وعاداته وعلاقاته الاجتماعية المترابطة، وببساطة الحياة فيه وارتباطه بالبحر ومهنة صيد السمك باعتبارها المصدر الوحيد للعيش في قرى الصيادين. بينما يمثل الابن جيل النفط وبداياته الأولى، حيث التحولات المجتمعية

المتسارعة وآثارها على نمط الحياة وعلى الاقتصاد والعمران واليد العاملة، وعلى حميمية البيوت ومكانة المرأة ودورها داخل الأسرة والمجتمع بعد تمكينها من التعليم.

ملخص الرواية: يمتهن "سلطان" صيد السمك مع والده ورجال القرية في قرية "المعيريض" في منطقة "رأس الخيمة"، ويعاني قساوة البحر وصراعاته اليومية وهو طفل ويافع. ومع بوادر التحول المجتمعي واتجاه الإنسان الإماراتي نحو وسائل عيش مختلفة، يحصل "سلطان" على وظيفة في مكتب بدبي كان مديره صديقا ل"خلفان" والدِه. تبدأ التغيرات في الأسرة بفضل وظيفة ابنها، وتبتهج الأم والإخوة بحياة الرفاهية التي أنقذتهم من الفقر والارتباط القسري بصيد السمك. وتظهر صراعات مختلفة في الرواية بين الماضي والحاضر وبين الاحتفاء بالواقع الجديد والتوجس مما نتج عنه من أنماط عيش جديدة وعلاقات اجتماعية مبتورة وتهديد للقيم والهوية. ويختم علي أبو الريش الرواية بمشهد تتحدث فيه "موزة" أم "سلطان" معبرة عن حالة الاضطراب التي تعيشها بسبب خوفها وأهل القرية من خبر محاولة اختطاف فتاة من قبل سائق سيارة أجرة من العمالة الوافدة: "إنها غربة الحال، يوم ابتعدنا ورحلنا بعيدا عن عيون البحر واتخذنا من الأبراج العاجية موطنا عصريا أسميناه الحضارة والعمران". (السيف والزهرة، ص ١٥٨)

- "لعلها مزحة": للروائية صالحة عبيد، الطبعة الأولى ٢٠١٨، منشورات المتوسط – ميلانو – إيطاليا، عدد الصفحات: ٢٢٣: تحرك الأحداث في الرواية –إلى جانب الشخصيات الثانوية– شخصيتان رئيستان هما "مسلم" العجوز المصاب بجرح قديم على وجهه، و"ميرة" الفتاة الشابة جارته في الحي قبل انتقالها وعائلتها إلى حي جديد.

ملخص الرواية: تحاول "ميرة" فك غموض جرح "مسلم"، فتنتقل الشخصيات في رحلة زمانية ومكانية تختلف فيها أحوال الإنسان الإماراتي ابتداء من أولى سنوات اكتشاف النفط ووصولا إلى العقدين

الأول والثاني من الألفية الثالثة. وتمثل "ميرة" نموذج الجيل الذي ولد في فترة التحولات الاجتماعية ولم يعايش فترة ما قبل النفط، وقد تم تمكينها كما كل الفتيات في الشارقة والإمارات من التعليم، وسافرت إلى باريس لتكمل دراستها الجامعية، وهناك تزوجت أستاذها الفرنسي دون أن تجد معارضة من عائلتها. أما شخصية "مطر" ابن "مسلم" فسيدفعه حادث اعتداء جنسي عليه من قبل عامل أجنبي في طفولته من معاناة مستمرة من حالة اللاجدوى والضياع التي انتهت به إلى صفوف المقاتلين في العراق.

- "الحي الحي": للروائي علي الشعالي، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، دار اللوهة للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، عدد الصفحات ٣٦٤: تكشف الرواية التناقضات التي يعيشها الإنسان الإماراتي بفعل التحولات المجتمعية التي عرفتها "دبي" بعد اكتشاف النفط واستغلال عوائده في مشاريع التنمية والتحديث. كما تعرض الجانب المشرق للتطور الذي يتهافت عليه الحالمون وطالبو مظاهر حياة البذخ والترف الذين تنتهي بهم الحياة إلى حالة الضياع والاضطرابات النفسية.

ملخص الرواية: يعيش "يحيى" في دبي، وفيها ولد ودرس وتخرج طبيبا. عاصر حياة الصيادين وهو طفل صغير دون أن يدخل البحر أو يجرب مغامراته، ذلك أنه ولد في الفترة التي مست فيها التحولات الاجتماعية كل المجالات بما فيها التعليم. استطاع أن يفتح عيادة خاصة به وحقق نجاحات كبيرة لولا أن القروض ومسايرة مظاهر الترف والبذخ جعلته يدخل في حالة نفسية مضطربة، وقد دفعه ذلك إلى أن يقرر الانتحار بعد أن يصل إلى لندن. وقد عرض الشعالي هذه الأحداث في إطار اللامنطق والعجائبي، حيث سيعمل رجل يمثل مؤسسة غربية في مكان انتحاره من استغلال جسده لزرع قلب وعقل وذاكرة جندي بريطاني. ويتم تكليفه بعد ذلك بمهمات اجتماعية لدراسة مجتمعات مختلفة عبر العالم بهدف السيطرة السياسية والهيمنة الثقافية. وبجسده الذي تم إعادة تركيب الهوية والذاكرة فيه،

سيعود إلى دبي وسيكون شاهدا من بعيد على ما تغير بعد إعلان خبر انتحاره، وعلى مظاهر الحداثة المزيفة بعد أن عانى تبعاتها على مستوى الهوية والانتماء والاكتفاء المادي.

- "رسائل عشاق": للروائية فتحية النمر، الطبعة الأولى ٢٠٢٣، الدار المصرية اللبنانية، عدد الصفحات (٤٠٧). وقد اختارت الكاتبة أن تكون جريئة في طرح أحداث الرواية، حيث كشفت النهاية علاقة غير شرعية بين "سرور" وزوجة أبيه نتج عنها ولادة الشخصية البطلة التي كشفت هذا السر بعد وفاة زوجة أبيها التي كانت تخفي الرسائل بينهما.

ملخص الرواية: تبدأ الرواية عام ١٩٨٠ على لسان بطلتها التي تحكي قصتها في قرية للصيادين بالشارقة، حيث تتشابك الأحداث، ويتصاعد الصراع؛ ليكشف حياة الشخصيات ونمط عيشها قبل النفط وبعده، ويعود السرد إلى أزمنة بعيدة عاش فيها الإنسان الإماراتي شظف العيش وقلة ذات اليد. تعيش الشخصية البطلة في كنف زوجة أبيها التي تكلفت بتربيتها بعد وفاتها بعد أن ولدتها مباشرة، وتعاني معها كل أشكال العنف والتمييز دون أن تفهم السبب في ذلك خاصة أن أختها الشقيقة "حصة" تجد من الاهتمام ما لم تشعر به هي في حياتها. لم تتعلم الفتاتان في المدارس وكانت الشخصية البطلة تسترق أوقاتا تذهب فيها إلى المدرسة الوحيدة في القرية وتسمع من تحت النافذة شرح المعلمات، فاستطاعت أن تتعلم القراءة. وستكشف سر كراهية كل المحيطين بها لها من خلال صندوق تركته زوجة أبيها بعد وفاتها، ستعرف أن أمها "عليا" كانت في علاقة حب مع أخيها من أبيها قبل أن تتزوج وبعد زواجها أيضا، وقد ولدت نتيجة هذه العلاقة.

تعد عينة الدراسة من أهم التجارب الروائية الإماراتية التي عكست الواقع الاجتماعي الإماراتي في مجالاته المختلفة، وقدمت صورة واضحة لتحولاته المتعددة في مجال الثقافة، والعادات والقيم، وسلوك الناس

ونمط حياتهم اليومي، وعلاقاتهم الاجتماعية ووظائفهم. كما أنها تقدم إجابات لأسئلة الدراسة المتعلقة بعلاقة التحولات الاجتماعية بالواقع، وتأثيرها في تطور الرواية الإماراتية.

٣,٥ أدوات الدراسة

- الاعتماد على المؤلفات والوثائق والدراسات المتوفرة.
- الملاحظة الشخصية للباحثة لرصد التحولات الاجتماعية في الواقع الإماراتي ومقارنتها بما رصدته الرواية.

٣,٦ النتائج

خلصت الدراسة إلى أن الرواية إبداع فني يعكس الواقع الذي نشأت فيه، وأن التحولات التي يعرفها المجتمع تنعكس في هذا الإبداع، حيث تعمل الرواية على تفكيك البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية والإيديولوجية، كما أنها تمثل وثيقة تاريخية للمجتمع الذي كتبت فيه عبر رصدها لتحولاته وهمومه وآماله وتطلعاته. وكذلك فعلت الرواية الإماراتية التي استطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تعكس الحياة الاجتماعية وتحولاتها في مختلف المجالات، وأن ترصد المشاكل التي توازي عملية التحول والتغير من بنية اجتماعية إلى أخرى جديدة ظهرت مع النمو الاقتصادي الذي عرفه البلد نتيجة اكتشاف النفط. كما كشفت الدراسة ارتباط التحولات الاجتماعية في الرواية بالواقع ارتباطا كبيرا يظهر تأثر الروائي الإماراتي بمحيطه، ورغبته في تغيير بعض الظواهر التي نتجت عن عملية التحول الاجتماعي، حيث يطرح الموضوع من خلال وجهة نظره وعبر رؤيته للعالم وموقفه من الواقع المتغير.

كما خلصت الدراسة إلى أنه من خلال الفضاء السردي الروائي، تنقل الروائي الإماراتي بين القبول والرفض للتحولات الاجتماعية التي اختزلتها أحداث وشخوص السرد وأبنيته الفضائية والمكانية، وفي تنقله

بين الماضي والحاضر في رحلة الحنين إلى ما قبل العصرنة والتحديث في عملية إعادة إنتاج للواقع عبر المتخيل. وقد سجلت الرواية الإماراتية صوت الروائي ورؤيته للعالم من خلال استجاباته لمتغيرات واقعه، وتوظيفه للتحولات الاجتماعية في انتقاد الظواهر المجتمعية بوسائل وتقينات سردية مختلفة.

إن اكتساب آليات التحليل العلمي وقراءة المصادر التي تمثل المتون المختارة للدراسة تمكن الباحثة من الكشف عن حركة المجتمع الإماراتي، وتتبع التحولات الاجتماعية التي تميز بها ابتداء من التحول الاقتصادي الذي غير عملية الإنتاج ومواردها، وأنتج تحولات متعددة ظهرت في البيئة العمرانية الحديثة التي فرضت استقدام اليد العاملة من الخارج، وغيرت في التركيبة السكانية وفي نوع الأسرة التي تحولت من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية، مما أثر في حميمة العلاقات الاجتماعية وأدى إلى تراجع قيمة التكامل الاجتماعي. وفي هذا السياق، تمكنت المرأة من دخول المدارس والجامعات دون تمييز بينها وبين الرجل، وأصبحت تملك حريتها وأمر اتخاذ قراراتها. وهذا ما سيتوسع فيه الفصل الرابع من خلال المقارنة بين الماضي البسيط والحاضر المتطور في الروايات محل الدراسة، وتحليل ترابط التحولات الاجتماعية التي تتبادل أنواعها عملية التأثير والتأثر في مسيرة التحديث والتطور.